المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007 العـــدد : 12835
الصفحـات : 4 المسلسل : 14

زيارة خادم الحرمين الملك عبد الله عندما كان ولياً للعهد - لروسيا خطوة مؤثرة وفعّالة على مستوى العلاقات وذات أبعاد وخلفيات سياسية واقتصادية بعيدة المدى

ولي العهد الأمير سلطان يبدأ الأربعاء القادم زيارة رسمية إلى روسيا

العلاقات السعودية الروسية تتقلد عقدها التاسع بعزم على مزيد من الصداقة والتقارب

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007
الصفحـات : 4
العـــدد : 12835
المسلسل : 14

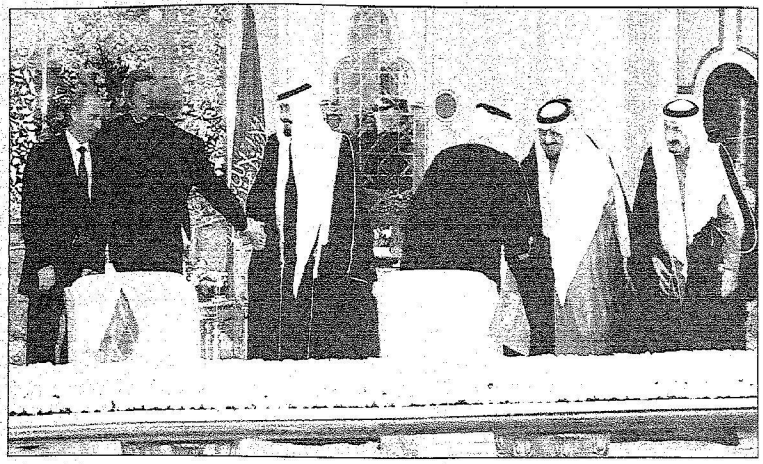

مراسم توقيع الاتفاقيات ومذكرات التفاهم الثنائية بين المملكة وروسيا أثناء زيارة بوتين للمملكة

غير واضحة تصوير

زيارة خادم الحرمين للملك عبدالله - عندما كان ولياً للعهد - إلى موسكو

الاتحاد السوفيتي أول دولة تعترف بالمملكة في عام 1926م

«الجزيرة» - القسم السياسي

يبدأ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام الأربعاء القادم زيارة رسمية للجمهورية الروسية استكمالاً للزيارات المهمة والمتبادلة بين الدولتين.

وتعد زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في سبتمبر 2003م - عندما كان ولياً للعهد انذاك - للجمهورية الروسية خطوة شجاعة وقوية ومؤثرة وفعالة على مستوى العلاقات السعودية الخارجية الدولية والإقليمية. وذات أبعاد وخلفيات سياسية واقتصادية وبترولية بعيدة المدى تضفي توازناً في العلاقات الخارجية السعودية وثقلاً اقتصادياً وتثبيتاً وترسيخاً للمبادئ والقيم السياسية التي تخطوها المملكة في حل كافة القضايا الداخلية

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007 العـــدد : 12835
الصفحـات : 4 المسلسل : 14

والإقليمية والإسلامية والدولية - وهي تعتبر الزيارة الأولى رفيعة المستوى بين الدولتين منذ الاعتراف الروسي بالمملكة - ولأهمية الزيارة وأثرها على العديد من القضايا الدولية والإقليمية فقد اهتمت كافة الأوساط السياسية والاقتصادية والدولية بأبعادها وحدودها في التعاون بين متفائل ومترقب ومتحذر ومتخوف سواء على أثر هذه العلاقة على المدى القريب أو البعيد ومدى تأثيرها على المنطقة والاقتصاد البترولي الدولي وقضايا الشرق الأوسط وعلاقات المملكة الأوروبية الأمريكية.

ولذلك فإن علاقة الرياض بموسكو هي بمثابة بوابة جديدة ومهمة للجانب الروسي في المنطقة فالرياض هي قلب العالم الإسلامي وذات ثقل عربي وخليجي قد يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر على علاقات روسيا مع الدول الإسلامية والعربية والخليجية بصفة خاصة وبالمقابل يفتح العديد من العلاقات الآسيوية للرياض ودول المنطقة، كما أنها ذات تأثير اقتصادي مهم للجانب الروسي المتوقع للاستثمار الخليجي لإنعاش اقتصاده الداخلي والمتعطش في علاقات تجارية متبادلة تخدم مصالحه في الشرق الأوسط ويعوضه فقدانه العراق أو غيرها من الدول العربية الأخرى.

والأهم من ذلك هو عودة الدب القطبي بقوة إلى الساحة السياسية في المنطقة ومعاودة نشاطه في حل القضايا الإقليمية من خلال الدعم السعودي وما قد يليه من دول أخرى إقليمية قد تفتح علاقاتها مع الجانب الروسي.

و يعود تاريخ العلاقات بين روسيا وجزيرة العرب إلى عام 1269 هـ - 1879م حينما افتتحت روسيا القيصرية قنصلية لها في الحجاز.

ويرجع اهتمام روسيا بمنطقة الشرق الأوسط إلى تطلعهم القديم، منذ عهد بطرس الأكبر وكاترين الثانية، للوصول إلى مياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة وفتح قنوات لأساطيلهم وتجارتهم في أجزاء من آسيا وأفريقيا.

ولقد كان الاتحاد السوفيتي أول دولة تعترف بالمملكة العربية السعودية في عام 1926م بعد سيطرة الملك عبد العزيز على الحجاز.

وقد اختار الروس قنصلاً مسلماً ليمثلهم لدى الملك عبد العزيز وهو (كريم خان كيميوف)، والذي قابله الملك عبد العزيز في مكة خلال حصار جدة، حيث عبر للملك عبد العزيز عن دعم الاتحاد السوفيتي له.

كما أنه كتب في 16 شباط - فبراير 1926م خطاباً إلى الملك عبد العزيز جاء فيه: (أتشرف بتكليف من حكومتي، بإحاطة جلالتكم علماً بأن حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، انطلاقاً من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها واحترامها لإرادة الشعب الحجازي التي تجلت في اختياركم ملكاً عليه، تعترف بجلالتكم ملكاً على الحجاز وسلطاناً لنجد وملحقاتها. وبناء عليه تعد الحكومة السوفيتية نفسها في حالة علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم).

وقد رد الملك عبد العزيز على هذه الرسالة بخطاب شكر أعرب فيه عن امتنانه لهذه المبادرة ورحب بإقامة علاقات بينه وبين حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.

وقد جاء في هذا الخطاب: (تشرفنا بتلقي مذكرتكم المؤرخة في 16 شباط - فبراير سنة 1926م، (3 شعبان سنة 1334 هـ) التي تبلغنا اعتراف حكومة الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بالوضع الجديد في الحجاز ومبايعة أهل الحجاز لنا ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد وملحقاتها، ولذلك تعرب حكومتي لحكومة الاتحاد السوفيتي عن شكرها كما تعرب عن استعدادها التام لإقامة العلاقات مع حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ومواطنيها كما هو متبع مع الدول الصديقة. فلتكن العلاقات بين حكومتينا مبنية على احترام استقلال البلاد المقدسة والتقاليد الدولية الأخرى التي تعترف بها جميع الدول. وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام).

وعلى أثر هذه الخطابات المتبادلة قام وزير خارجية الاتحاد السوفيتي تشيشرين بإرسال الخطاب التالي إلى جلالة الملك عبد العزيز وقد جاء فيه: (يا صاحب الجلالة: قد اطلعت حكومتي ببالغ السرور على تبادل المذكرات الذي جرى بين جلالتكم وبين ممثل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الرفيق حكيموف في 16، 18 شباط - فبراير سنة 1926م في مكة والذي كان من نتيجته تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين حكومتكم وحكومة الاتحاد السوفيتي. ونحن على يقين من أن الواجبات البالغة الأهمية القائمة أمام

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007 العـــدد : 12835
الصفحـات : 4 المسلسل : 14

جلالتكم في ميداني السياسة الخارجية والداخلية ستحقق بنجاح ما فيه خير الشعب العربي، بفضل صفات جلالتكم الشخصية وعزيمتكم. وستكون حكومتي سعيدة جداً إذا تقبلت جلالتكم الهدايا المتواضعة التي ستكون ذكرى لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين جلالتكم وحكومة الاتحاد السوفيتي. ونحن على يقين من أن حسن رعايتكم واهتمامكم بممثل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيسهل عمل هذا الأخير لما فيه المصلحة المشتركة، وأن العلاقات الودية التي كان من حسن الحظ أن أقيمت بين البلدين ستزداد متانة لما فيه خير الشعب العربي وشعوب الاتحاد السوفيتي).

وفي حفل الاستقبال التكريمي الذي أقامه رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية كالينين للملك فيصل قبل توليه الملك وقف كالينين وألقى أمام سموه الخطاب التالي: (أيها السيد الجليل: يسرني أن أرحب بمقدمكم إلى بلاد الاتحاد السوفيتي، أنتم ممثل دولة صديقة وأرحب بشخصكم في ملكها جلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود. إن العلاقات كانت بين بلدينا على مدى عدد من السنين علاقات ودية جدا، صادقة تماما. ولا شك أن زيارتكم لبلادنا هي إحدى المظاهر السعيدة للصداقة التي تربط بيننا. وإني بهذا السرور أرحب بكم في عاصمة الاتحاد السوفيتي لأنكم تمثلون حكومة شعب عربي استطاع بعد الحرب العالمية وبفضل سياسة قائده الجريئة، والبعيدة النظر، أن ينال ويعزز استقلاله التام الذي هو شرط ضروري لتطور البلاد الاقتصادي والثقافي. إن الاتحاد السوفيتي، حكومة وشعبا يتتبع بانتباه شديد التطور الموفق لسياسة الحكومة التي تمثلونها والموجهة إلى الدفاع عن استقلال الشعب العربي وإلى توطيد رفاهيته الاقتصادية والثقافية. وإني لأعرب عن ثقتي بأن الصداقة بين دولتينا تستجيب كل الاستجابة لمصالح شعبينا وخيرهما جميعا. ولا شك أن مقدمكم إلى الاتحاد السوفيتي سيساعد على زيادة قوة هذه الصداقة. وأرجو أن تنقلوا أطيب تمنياتي بالصحة والرخاء للملك عبد العزيز وأحيي بحرارة في شخصكم ممثلاً سامياً لدولة صديقة لنا، وقائداً لسياستها الخارجية. وأتمنى بصدق وإيمان التقدم والازدهار لشعبكم وتطورا مستمرا وتعزيزا للعلاقات الودية بين بلدينا).

وعلى إثر هذه الزيارة التي قام بها الأمير فيصل إلى موسكو زاد التعاون والتبادل التجاري بين البلدين وارتفع عدد الحجاج المسلمين من الاتحاد السوفيتي إلى مكة المكرمة.

وتذكر بعض المصادر أن عددا من مسلمي روسيا قد شاركوا في المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبد العزيز في عام 1926م وكان موقفهم إيجابيا ومؤيدا لمكانة المملكة العربية السعودية كحامية للأماكن المقدسة.

وبذلك يعد الأمير فيصل بن عبد العزيز أول وزير خارجية عربي يزور الاتحاد السوفيتي.

وفي عام 1938م ونتيجة لرغبة السوفيت في تقليص حجم ممثلياتهم في الخارج - كما قيل آنذاك - استدعت الحكومة السوفيتية بعثتها الدبلوماسية في جدة، وقد ظلت العلاقات بين البلدين راكدة منذ ذلك التاريخ.

إلا أن طبيب السفارة فقد رفض العودة وطلب اللجوء السياسي من الحكومة السعودية وتحول إلى طبيب خاص عند الملك عبد العزيز.

وبعد دخول الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء انصبت معظم اهتماماته على قضايا الحرب ومشاكل التسويات الإقليمية والحدودية التي رافقت هزيمة القوى النازية والفاشية في القارة

الدبلوماسيون الأجانب المعتمدون في جدة عام 1929م ويظهر في الصورة على يسار الملك الفيصل نظير توريا كوف سفير الاتحاد السوفيتي

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007 العـــدد : 12835
الصفحـات : 4 المسلسل : 14

الأوروبية.

وبعد نهاية الحرب انكفأ الاتحاد السوفيتي إلى الداخل وركز على بناء قاعدته الاقتصادية والصناعية ولم يعر اهتماما بشؤون العالم الثالث إلا بعد وفاة ستالين في عام 1953م. وهو الأمر الذي أدى إلى ركود العلاقات بين البلدين. لكننا عندما نستعرض تاريخ العلاقات بين البلدين فإنه يتوجب علينا الإشارة إلى تصريحات المسئولين السعوديين المتكررة والتي تؤكد - جميعها - احترام وتقدير المملكة العربية السعودية لمواقف الاتحاد السوفيتي الإيجابية.

ففي حديث الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية عن علاقات الاتحاد السوفيتي قال ذات مرة: (يجب عدم إعطاء العلاقات الدبلوماسية وزنا أكثر من اللازم. فعدم وجود علاقات دبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي لا يعني تجاهل المملكة للاتحاد السوفيتي. المملكة معترفة بالاتحاد السوفيتي وكان لها علاقات دبلوماسية معه ولم تنه المملكة هذه العلاقات، إنما الذي أنهاها هو الاتحاد السوفيتي نفسه عندما سحب بعثته من جدة في الثلاثينات. ودون شك فالقرار السوفيتي لم يكن سببه عداء للمملكة إنما الذي أدى إليه هو عدم وجود تعامل بين البلدين. المملكة العربية السعودية ليس لها علاقات مع دول كثيرة في العالم، وليس فقط مع الاتحاد السوفيتي، منها دول نامية، ومنها دول متقدمة، وسبب ذلك ليس لأننا لا نعترف بهذه الدول أو أننا نتجاهلها، ولكن فقط لأن ليس هناك تعامل بيننا يبرر في الفترة السابقة التي مرت وجود علاقات دبلوماسية).

وقال في موطن آخر: (إن عدم وجود علاقات دبلوماسية بين الرياض وموسكو لا يعني أن المملكة ليست مقدرة كل التقدير موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية والنزاع العربي - الإسرائيلي بشكل خاص ونحن نقدر في هذه الحقبة التاريخية موقف الاتحاد السوفيتي في هذا الموضوع كل التي تنوه بسياسة المملكة وتمتدح خطها العام).

وخلال فترة ركود العلاقات ظل الاتحاد السوفيتي وفي أكثر من مناسبة يلمح إلى ضرورة إعادة العلاقات الدبلوماسية مع السعودية. وعبّر بمختلف الوسائل عن رغبته في أن تستأنف هذه العلاقات.

ولا أدل على ذلك من مقال نشرته إحدى المجلات السوفيتية في كانون الثاني - يناير 1979م للمعلق السوفيتي المتخصص في شؤون الشرق الأوسط إيغور بيلاييف قال فيه: إن السعودية دولة غير منحازة، ونود بمعارضتها الشديدة لكامب ديفيد، كما أكد بأنه ليست هناك نزاعات لا يمكن تسويتها بين موسكو والرياض.

وقد توالت المقالات والأبحاث والتصريحات السوفيتية المعبرة عن الموقف الثابت للمملكة تجاه الاتحاد السوفيتي.

كما قال فلاديمير سوخين رئيس القسم الصحافي بوزارة الخارجية السوفيتية ذات مرة وكان يتحدث عن العلاقات الروسية السعودية خلال تلك الفترة: لا توجد موانع من جانب الاتحاد السوفيتي لبناء علاقات مع السعودية.

ونشرت ذلك صحيفة (المستقبل) التي تصدر في باريس (العدد 489 وتاريخ 5 تموز - يوليو 1986م).

وحينما رأى الطرفان ضرورة استئناف العلاقات عادت العلاقات أفضل مما كانت عليه سابقة ولاسيما عندما اتفقت الرؤية المشتركة لدى الطرفين بأن إقامة علاقات متوازنة مع الدول الكبرى هو أفضل وسيلة لتحقيق المصالح المشتركة، خاصة أن المملكة استطاعت تحقيق هذه المعادلة دون أن تفقد مكانتها أو يخل بمصالحها وبسمعتها في المجتمع الدولي.

ومن الضرورة بمكان الإشادة بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود لموسكو في سبتمبر 2003م (عندما كان ولياً للعهد آنذاك) وما أعطته من دفع لمسيرة العلاقة والصداقة بين البلدين على كافة الأصعدة، وما تبع هذه الزيارة من تبادل للزيارات بين قيادة ومسئولي البلدين، وكذلك الزيارة التي قام بها فخامة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يوم الأحد 11-2-2007 يتوج هذه الصداقة بزيارته التاريخية للمملكة، كأول زعيم روسي يزور المملكة.

الأمر الذي يؤكد أن مستقبل العلاقات بين البلدين سيشهد تطوراً كبيراً وقفزات نوعية وتلاحماً أكبر. وها هي العلاقات السعودية الروسية تنقلد عقدها التاسع بعزم على مزيد من الاتفاق والتقارب والتعاون والصداقة.

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 19-11-2007 العـــدد : 12835
الصفحـات : 4 المسلسل : 14

الفيصل أثناء زيارته لموسكو